

اجتهادات الحياة في لبنان اليوم

كثيرًا ما يكونُ الواقعُ مختلفًا عن الصورة المطبوعة في أذهاننا بدرجةٍ أو درجات. الصورةُ البائسةُ الشائعةُ عن الحياة في لبنان اليوم لا تتطابقُ مع واقعها. في هذا الواقع شيء من الصورة المنقولة عبر وسائل الإعلام. لكن فيه أيضًا أشياء أخرى تختلفُ عنها. الواقعُ صعبٌ، لكنه ليس في مثل قتامة الصورة. أمضيتُ بضعة أيامٍ في بيروت للمرة الأولى منذ فبراير 2020. لاحظتُ اختلافًا في بعض أحوال البلد وشعبه عما كان قبل تفاقم الأزمة، واستمرارًا في بعضها الآخر.

لم تتغير حياةُ فئاتٍ عدةٍ إلا في أن انقطاع الكهرباء صار يمتدُّ لفتراتٍ أطول وقد يستمرُّ طول اليوم، وفي الانهيار المريع لقيمة الليرة أمام الدولار. كُثُرَ لا يتأثرون بهذا وذاك. هم، وآخرون غيرهم، تعودوا منذ فترةٍ طويلة على استخدام المولّدات التي ازداد الاعتماد عليها. كما أن نسبةً كبيرةً يصعبُ تقديرها لا تؤثرُ الأزمة النقدية-المالية في حياتهم، وهم بالأساس الأثرياء ومن يتقاضون رواتبهم بالدولار أو يتلقون حوالاتٍ دولاريةً من أقارب في الخارج. وهم ليسوا قلة. وقد ازدادت قدرتهم الشرائية عندما يُقدَّر سعر السلعة بالدولار، رغم أنه صار أضعافًا بالليرة.

أما من يحصلون على أجورهم ومعاشاتهم بالليرة فهم من يدفعون ثمن الأزمة, ربما باستثناء بعض العاملين في فنادق ومطاعم ومقاهٍ يزدادُ زبائنُها مع انتعاش حركة السياحة مبكرًا، وتوقع موسمٍ سياحيٍّ صيفيٍّ مزدهرٍ, بعد معاناةٍ طويلةٍ في هذا القطاع. معظم الفنادق بمختلف مستوياتها كاملةُ العدد أو تكاد. وكثير من المطاعم المتوسطة تعملُ جيدًا. معظم السياح الحاليين لا ينفقون كثيرًا, لكن عددهم كبيرٌ ومتزايد. أما المطاعم الفاخرةُ فلها زبائنُها اللبنانيون.

كما أن معدلات السياحة المتزايدة خلقت حركةً واسعة في الأسواق. ولهذا لا يشعرُ زائرُ المناطق التجارية بفرقٍ كبيرٍ عما كان يشاهده قبل تفاقم الأزمة، فيما عدا الحسرة على أسواق وسط البلد المعروفة بأسواق بيروت التي أصابها انفجارُ الميناء بأضرارٍ بالغة.

أما الشعبُ اللبنانيُّ فهو لا يفقدُ حيويته وحبهُ للحياة وأمله في المستقبل مهما تتفاقم الأزمة، التي سنعودُ إلى جوانبها السياسية في اجتهادٍ لاحق.